وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2-أبو القاسم سعد الله-

كلية العلوم الاجتماعية

المرجع/المراسلات الوزارية:

01- رقم:/أ.خ.و/2020 بتاريخ 29 فيفري 2020

02- رقم: 416/أ.خ.و/2020 بتاريخ 17 مارس 2020

03- رقم 440/أ.خ.و /2020 بتاريخ 2020/03/23

نموذج الوثيقةالبيداغوجية لتدعيم

منصة التعليم عن بعد

fss@univ-alger2.dz

اسم ولقب الأستاذ:عبدالعزيز راس مال
المقياس : أنثربولوجيا الدين والمقدس ☐ محاضرة *

نوع الوثيقة : محاضرة
الفئة المستهدفة من الطلبة: الجذع المشترك " أنثربولوجيا "
السنة الثالثة
الفوج الأول

التخصص: الأنثربولوجيا... تاريخ تسليم الوثيقة: 12 أفريل 2020 م.

المحاضرة الاولى : المقدس وحفريات المفهوم .

مصطلح المقدس : Le sacré

هذا المصطلح غائب في المذهب الإسلامي الأصلي ؛ الذي لا يعترف بصفة " القدوس " إلا لله ..عزوجل ، هذا المصطلح يتضمن الافتراق والتسامي والصفاء الخالص ..بعد مضي قرون عديدة تطورت الفكرة القائلة بوجود كائنات بشرية مفضلة ؛ يتمتعون بالقرب من الله و من البشر ؛ منحت لهم صفة " الولي " وهي عبارة مستعملة في النص القرآني ؛ والتي تحدد فئة من المؤمنين الذين أصبحوا أولياء الله (قديسون) .

الإيمان بالله المهيمن الذي لا شريك له ؛ والفصل بين العالم البشري والإلهي ...فهو لا يترك المجال الوسطاء بين الله والبشر ، وهذه الملاحظة أبداها ڤولدزيهر Goldziherفي الاختلاف بين المسيحية والإسلام ؛ حتى النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر نفسه عبدا لا يعلم الغيب الإلهي (السورة : 17 – الآية :93 ؛ السورة : 18 – الآية : 110).

يذكر القرآن عددا من النساء و الرجال ، العباد الورعين وشهداء الإيمان الذين لهم مكانة خاصة في الجنة ؛ وبما أنهم مكرمين في حياتهم فإنهم يتخذون كوسطاء بين البشر والله من خلال الشعائر التي يقومون بها والطقوس التي يمثلونها (الزيارات ، الذكر ، العطايا العينية ، الأضحية) فالتوسل عن طريق الصالحين (القديسين) يثبت كراماتهم بعد موتهم ، وتمارس باسمهم الشعائر !

فرض الضغط الشعبي فكرة " المقدس " على المستوى المذهبي ، بفعل تغيير وقع في تمثيل فكرة " النبوة " (ابتداء من القرن 9 م / 2 هـ) " شودكوفيتس " Shodkiewicz أن تقديس الأولياء هو انتشار لهذا التبجيل والتكريم النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، وهذا ما ارتبط بترسيم الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في القرن 13 م (في نهاية 6 هـ / 7 هـ) و من ثم فطائفة الصوفية و على رأسها الجنيد كرم من أجل النبي ؛ وبالتالي فهم " قديسون ". تنتظم الولاية او القداسة في دائرة القرب من خلال وقفتين : - رحلة البشر نحو الله – رحلة معاكسة من الله نحو البشر.

أما في اللغة " فقدس " تختلف في جذرها و تفرعاتها عن " القدس " -بالضم- الذي يعني الطهر ؛ و منها " الجنة " : حظيرة القدس ؛ روح القدس : جبرائيل (جبريل) - تقدس (بالشدة) : تطهر ...والأرض المقدسة (المطهرة) – بيت المقدس ؛ والقادسية كناها النبي "إبراهيم " بالقدس (محلة الحاج) – قدوس : من أسماء الله الحسنى من القدس الذي يعني الطهارة ....سبوح (بالفتح)عند سيبويه أو بالضم ! يستعملها أهل التصوف ...المقدس أوسع من الشبكة العلائقية التي سوف نتطرق إليها فيما بعد ..

المقدس: لا يغطي " المقدس " الجانب الديني فقط و إن كانت جذوره دينية ؛ وإنما يكمن المقدس في عاداتنا اليومية واعتقاداتنا ، في تفاؤلنا وتشاؤمنا ، في النظم التي تحكمنا و الطرائق التي نحكم بها ، في العلاقات ضمن العمل وفي العائلة ، وحتى في المؤسسة الزوجية ، وفي البديهيات و المسلمات و الحكايات ...

يفيد كارن أرمسترونغ Karen Armstrong: " الزراعة خبرة المقدس لا نحتاج فيها للآلهة ، فخلال 400 سنة راجع اليهود والمسيحيون و المسلمون و بشكل ثابت غيروا تصورهم عن الله – تتواصل الحاجة إلى النشوة بوجود الإله من عدمه ..وحين تجف خبرة الإعلاء و التسامي في مكان ما نلجأ إلى مكان آخر ...ليس فقط بالتسامي في الثقافة الراقية، فموسيقى " الروك" تولد لدى الشباب خبرة النشوة والانسحاب (الفن) ! كما أصبحت الرياضة ديانة وطنية ، فالتحمس للفريق آسر للجمعية وقد زرعها الدين من قبل ، وألعاب الفيديو النشيطة لا تختلف عن أساطير الدين القديمة ، فالخطر كامن في ثقافة الكمبيوتر ، لكن ظهر أن الدين أخطر في حمل خطر العدوانية الدينية ! وعى الأوروبيون بهذا التبصر ، و أصبح فعل التعاطف هو بمثابة الاختيار الحقيقي للروحانية ...فغادروا الكنيسة الرسمية التي نفرتهم من السلوك غير الجذاب للمقدس والصليب و المحاكمات والاتهامات ، والماضي والحاضر و الخرافات " ...تغير هذا الأمر بفعل الليبرالية التي جعلت من النزعة " الإنسانوية " Humanisme؛ تعطي الأولوية " للجبر المقدس للفرد " ، فهو دين "دون إله " ، من هنا كان التعاطف مع " ديانا " التي أصبحت أيقونة التعاطف ! في عالم ينعدم فيه الشخصي ! لكن الأسئلة الدينية و المقدس في هذه الألفية شهد توهجا جديدا ..

المحاضرة الثانية : المقدس بين العلماني ..والديني .

تمهيد :

يستشهد أحد الكتاب بأولوية المقدس أن أول جرس وضعه كولومبس في سقف أول كنيسة بأمريكا اللاتينية. احتاجت المسيحية لقرنين من الزمان للإزالة من طرف الرأسمالية لتحل محلها رموز الدولة القومية ؛ وهذا بعد حرب مفتوحة بين الطبقة الجديدة و الكنيسة ، وانتزعت منها : المال – الأرض – الراية.

نزع الملكية من الديني إلى المدني يسمى " بالعلمانية ' Sécularisation؛ وهي كلمة قديمة استخدمت في القانون الروماني " عالم الإنسان العادي " ، أي الإنسان غير الديني – وارتبطت في اللغة العربية بالعلم ، وباستخدامه وتوظيفه ، أي استخدام الحقائق العلمية بدل اللاهوتية في المجال السياسي : - تحرير الإنسان من الوصاية الدينية.

العلمانية : " العملية التي تمت بها إزاحة قطاعات من المجتمع والثقافة من تحت السيادة العائدة المؤسسات الدينية والرمزية" ...بمعنى ، انهار المحتوى الديني من الفنون والآداب والفلسفة ، وصعود العلم صعودا ذاتيا .. وعلى المستوى الذاتي ، تمت علمنة الوعي ، أي رؤية للعالم تتم من خلال الآليات الخاصة ، دون الاستناد إلى التفسير الديني ...!

أمثلة نموذجية :

العلمانية في الهند : يعتبر المجتمع الهندي مجتمعا تقليديا من ناحية القيم ، بل إن التقسيمات الطبقية المقدسة في الهندوسية (80% من السكان) تقف حاجزا أمام أي تقدم حقيقي للهند في المجالين : الاجتماعي والثقافي بل انعكست على ديانات وثقافات أخرى مثل : الإسلام (15 % من السكان) في تصور " الأشراف و الأجلاف " ، وله

وزن أساسي داخل الهند ذاتها في العلاقة بين المسلمين أنفسهم ونصيبهم من الثروة ؛ يدعم المسلمون في الهند العلمانية في مواجهة المد الأصولي الهندوسي ، بينما المسلمون في الدول الأخرى ذات الأغلبية الإسلامية يعتبرون العلمانية نوعا من الكفر ، أو على الأقل نوعا من التغريب المفضي إلى التهتك و الانحلال .

. العلمانية هنا ؛ حلت الإشكالية السياسية للمجتمع ، ولكنها غائبة على المستوى الاجتماعي والثقافي ..فالعلمانية السياسية تمكنت من الهند منذ 1950 م , رغم أن البنية التحتية متدهورة و متخلفة ..إذن ؛ المقاومة ضد العلمانية تمت عن طريق الدين (الإيمان الديني) في تأييد الطبقة (الكهنة – الحكام) ضد المنبوذين ، والذين هم في أسفل السلم الاجتماعي من أميين ويعاملون بعنصرية ..وهنا يظهر الفرق بين العلمانية في الغرب وفي دول الحزام الجنوبي. قام مفكرو الغرب بتلفيق التصورات المسيحية الصالحة (بعد هزيمتها ثقافيا) وتلك الثقافة اليونانية القديمة مناسبة للرأسمالية (الإنسان إزاء الآلهة ، فهم يستدرجون الحاضر بوضعه في الماضي ، أما المسلمون فيسترجعون الماضي بوضعه في الحاضر – ولذا ، فإن كثيرا من التحاليل ذات بعد ماضوي ! و يقعون بين الأنا المنطقية و الأنا الجدلية ابن سينا – الغزالي) .

<u>العالم في الفكر المسيحي واليهودي</u> :

العلمانية عند " هيجل " : الإدراك الأعلى (الروح المسيحية) ؛ سخر منها كلا من شوبنهاور و نيتشة ؛ واعتبرا بأن المسيحية هي بذرة العدوى المسؤولة عن الدولة البائسة في العالم المعاصر .

الكون الكاثوليكي (المقدس – المعجزة – السحر) استمرار للمجال المصري المقدس (إرتباط الإنسان بالآلهة في العالم) ، تشابه الكهنوت الكنسي مع الكهنوت المصري القديم ؛ أما البروتستانتية فهي إفراغ العالم من وطأته و تخفيفه إلى درجة الضروريات (في الأشكال الكالفينية واللوثرية وفي الإصلاح الأنجليكاني) ، فهو انكماش حاد في مجال المقدس ...تختفي المعجزة كليا ؛ أو على الأقل تختفي من الحياة الدينية (اختفاء أرواح الراحلين ، تتوقف الصلاة على الميت ، والتحرر من السحر) .

اختلفت البروتستانتية عن الكاثوليكية التي تجعل المقدس حاضر بقوة في العالم عبر تقديس الكنيسة وشفاعة القديسين ، اتصال بين المرئي و غير المرئي ، بينما البروتستانتية حطمت الوساطة ، وأعادت الإنسان إلى نفسه من خلال عملية تاريخية غير مسبوقة ...وفي مقابل نزع القدسية عن العالم ، تسامت بالإله درجات أكبر. .

-فالإله ذلك الموجود في الإنجيل ، وإنما الاعتراف بالفضل الإلهي الفريد للخلاص (عملية الاعتراف الكنسي هي مجرد شكر للإله) ...السماء حين خلت من الملائكة ؛ فتحت أمام تدخل الفلكي ، وبعده رائد الفضاء " بيرجر " . . في الديانة الإسلامية ؛ فإن الله مجرد و متعال ..

قامت البروتستانتية بعمل جبار في عملية العلمنة ؛ وفي الكتاب المقدس جذور هاته العملية (المنابع المبكرة لبني إسرائيل) وهي التي أتاحت للإنسان انتزاع حريته من السحرية في العهد القديم. العالم الإنساني (الثقافة والمجتمع) كامن في نظام كوني يحتضن الكون كله ، يتمتع عالم الإنسان وعالم الآلهة باستمرارية تفترض رابطة دائمة بين الحوادث البشرية والقوى المقدسة الحافظة للكون وتدرك في الطقوس الدينية. طقوس " خلق العالم " الرافدية لا تمثل هذه رمزيا ، وإنما تدرك كحقيقة ، وتعود الحياة للمقدس -المنبع الحقيقي للإنسان – في العلاقة بين السماء والأرض !هذه الاستمرارية بين العالم الصغير (الإنسان) والعالم

الكبير (المقدس) يقطعها المحرم ...Tabouويختل النظام الكوني ، فلابد من تصحيحه بطقوس مناسبة وأفعال أخلاقية. .. خروج آباء إسرائيل من الرافدين
والخروج الكبير من مصر بقيادة النبي موسى ليس مجرد خروج جغرافي أو سياسي وإنما هو قطيعة مع الكون كله ؛ جحود كبير و رفض متقد لكل من النسخ المصرية والرافدية النظام الكوني ..!

وامتد هذا الإنكار إلى الثقافة الأصلية في سوريا وفلسطين ! ..الإله تعالى ، لكي لا يتماهى مع أية ظاهرة طبيعية أو إنسانية ..ليس هو فقط ، خالق العالم ، و إنما الإله الواحد – على الأقل , بالنسبة لبني إسرائيل – لا أصحاب له ولا ابن ، وليست لديه لائحة لآلهة من أي نوع – إله يعمل تاريخيا لا كونيا ؛ و بطريقة لا استعبادية في تاريخ بني إسرائيل ...اختار فلسطين أرضا لبني إسرائيل مع أنه لم يكن مرتبطا بها ...اختار سليمان وداود وغيرهما كملوك لبني إسرائيل ، لكن المملكة لم تكن مؤسسة " للمقدس " بالمعنى المصري والرافدين..

ظاهرة " ياهوه " هي الخاصية الارتحالية للتابوت ؛ والذي تنتهي به الرحلة نهائيا في معبد " أورشليم " ؛ فهو ليس مقام ! ثمة استقطاب أساسي الكتاب المقدس من الإله المتعالي والإنسان في كون منزوع الأسطورية بينهما ؛ فهو عمل الإله و الإنسان كمجال التاريخ الأرضي الذي يجعل لصفحات العهد القديم شعبية فريدة في الأدب الديني القديم ...الاعتقاد التاريخي – اليهودي منذ الأصول المبكرة (تابوت العهد ، سيناء ، احتلال الأرض) – حوادث تاريخية ذات أصل إلهي .

لم تخلق البروتستانتية الروح ، و إنما خلقتها التطورات المجتمعية في أوروبا و أجبرت الكنيسة على التجاوب مع العلمانية بإعلاء شأن الإنسان إزاء الآلهة ...لابد من التمييز بين تقبل اليهود للعلمانية باعتبارها حلا فعالا لمشكلة العداء التاريخي بينهم كأقلية و بين المجموعات الدينية المحيطة بهم. .
لقد أصبحت العلمانية حلا أخرجهم من " الغيتوهات " Ghettos؛ إلى عالم المواطنة ومن هنا تقبلهم لتحييد الكنيسة التي اعتبرتهم " هراطقة " Hérétiques؛ وترى هذا الأمر في كل أقلية إزاء كل أغلبية..
استطاع الإسلام إعادة إنتاج كل من اليهودية والمسيحية والثقافة العربية الموروثة بنجاح ، ثم خرج بها إلى العالم فعممها على رقعة الإمبراطورية الواسعة من الصين شرقا إلى إسبانيا غربا (....) وقد نجح اليهود بدينهم المحلي ذي الطابع القبلي ، بالتبني المسيحي للعهد القديم ؛ ثم ثانيا ، بإعادة إنتاج إسلامية , و يعتبره البعض دينا عالمي الطابع، رغم قبليته و محدودية تصوره ...

التكوين الاجتماعي الكنيسة المسيحية – بالمفهوم المقارن – مثلت فيه الكنيسة حالة خاصة للمؤسسة الدينية ، وهو تطور نادر – نسبيا – في تاريخ الأديان ، أي التركيز على الممارسة والرموز الدينية في إطار مؤسسي واحد ، وقسم الكون إلى سلطتين : - المقدس – المدنس ..وهما مفهومان تختزن فيه العلمانية الحقيقة الاجتماعية المحافظة على التوازن الحرج بين المقدس و المدنس ...وبتلاشي هذه الحقيقة حدثت العلمانية سريعا ، والتي كانت مجرد شبح خارج سلطة المقدس .

التسميح في إفريقيا مؤسسة دينية ضاغطة على تصورات الحقيقة ، وإن كانت الثقافات المحلية قد أدمجت في بنية الاعتقاد المسيحي كنوع من إعادة إنتاج الثقافة الخاصة في إطار جديد (المسيحية في إفريقيا لا تزال تمتليء بالاحتفالات والرقصات والألوان وكذلك السحرية والطوطمية والاسرارية) لايمكن الفصل بين اليهودية والمسيحية

من جهة ، وبين الإسلام من جهة أخرى ، بالنسبة لعملية التصور النهائي للكون و الخلق و الأنبياء ؛ إذ يمكن أن نرى القيم واحدة في الأديان الثلاثة ، والخلاف يقع فقط في الفضاء الذي تمارس فيها تصوراتها أو البشر الذين يعيشونها شكلت الجغرافيا الهاجس الأساسي لقصص العهد القديم ، وفيها وعد الرب لآباء إسرائيل بأن الأرض التي تطؤها أقدامهم ستكون لهم ، هي الفكرة المحورية في الثقافة القديمة ، والتي امتدت في الثقافة المعاصرة في الفكرة الصهيونية أشعلها بروز الدولة القومية الأوروبية ! ثم تحققها الحالي في إنشاء دولة إسرائيل ...

تتمثل إشكالية القبائل الإسرائيلية في أنها لم تقم دولة ذات طابع استقراري وظلت تعاني من حالة التشرذم التاريخية و ظلت منعزلة في معظم تاريخها (Diaspora .. Ghetto) فظهرت الحيرة بين الثقافة العالمية والثقافة القبلية ..رغم الإنجازات على المستوى الإقتصادي والعملي ؛ إلا أنها في عمقها ثقافة القبيلة القديمة ..إزاء حالة أممية عادلة ..الدولة الحديثة في إسرائيل عنصرية الطابع ، وتحمل على عاتقها الفكرة المركزية " لشعب الله المختار " ، وتعمل على التمييز العرقي بدلا من الدمج الإنساني في الوحدة العالمية أو داخل الأوطان التي يعيشون فيها ..

يؤكد الحكام الجدد على إظهار الخصوصية بين الله والقبيلة (إعلان الدولة اليهودية 2018 م) يؤكد ذلك ؛ و بميزون بينهم(اليهود) و الأغيار (الغويم) ، وهنا تحفر قبرها التاريخي – الذي لا يهم النافذين في الأساس .

المرجع Berger,L .Peter : the sacred canopy , element of sociological theory of religion ..New York 1969 .

المحاضرة الثالثة : المقدس والأسماء

أطلق الساميون أسماءهم التي اشتقوها من لغاتهم ؛ فسام بن نوح ..أصل الكلمة في العربية والعبرية سام أو شام أو شم ..آدم نسبة إلى أرض أدوم التي اكتشفتها منذ سنوات قليلة البعثات الحفرية في الأردن وبلاد الشام ...هو أديم الأرض ، الإنسان القديم ...والإدام – الزيت أو السمن المخزون ؛ أما حواء فتشير إلى الحية أو الحيوات ، نتيجة لقدرتها على تجديد جلدتها ، و بذلك تطيل عمرها بدلا من الإنسان القديم !

أما الآرامية فترجع إلى آرام بن سام ، حيث اتخذته طائفة من الشعوب تمتد من نهر الأردن إلى بلاد الشام وما بين – النهرين ...واطلق حام على بلاد مصر ...أما كنعان ؛ فيطلق على الشعوب الكنعانية من الأردن إلى البحر الأبيض المتوسط ...على لبنان والريف الفينيقي ! و تسمية اليمن ؛ ترجع إلى هجرات آرامية وقعت في القرن 7 ق.م .

الله في اللغات :

الله ربوبية وحب و مثال (أي كامل في كل شيء) ودقق القرآن فقال بالأحدية إلى جانب الواحدية في الربوبية و أضاف الصمدية ، إلى جانب الحب ليتمايز حبه على ما نحب و كيف نحب برفض المثال الوالد و ما ولد.. .الفادي هو الله ، ثم ميز بين الحب والتحاب ، فحب الله صمدي ، وحب الإنسان أمدي – على أمد معين – لأن الله ينبوع الرحمة ، وهو الرحمن الرحيم ؛ انتقلت عبادة الرحم إلى الخالق ، بعودة إلى الرحم (رحمة – مرحوم – حرام – تحريم - وأسماء الله الحسنى " رحمن – رحيم ") .. يؤكد المعنى الآرامي حصرا أن الرحمة الفاعلة تتحدد بوضع و واقع المرحوم أو المحبوب ؛ أما حب الله فيؤكد رحمة الرب بغير بدء والرحمة حب بغير نهاية ..الله هو حب من غير بدء ، والحب هو " يهوه " من غير نهاية .. فالحب هو صورة الرحمة ، و الأصل الآرامي – السامي يفيد في " إيل " رحمن و رحيم ، فباسم رحماته éléos الظاهرة و الباطنة ، بالظاهرة رحمن ، وبالباطنة رحيم ؛ هو الله. !

الله بجذر واحد في اللغتين (العبرية و الآرامية) وهما اللتان تحدث بهما الله لرسله ؛ ثم العربية ...فكان الإسم عظيما لذلك ، وهو أعظم لأن الرب تسمى بهذا الإسم في بداية الكون ونهاية النبوءة أي بدأ الله نفسه به و ختم به الرسالة.

<u>حواء وأخواتها والغواية :</u>

المقدس يتمثل في الخطيئة الاولى ، التي طردت منها حواء من الجنة مع زوجها آدم ، والمدنس يتمثل في العقوبات التي سلطت عليها : الحمل – الحيض – السيادة المطلقة للرجل !

يستجب النساء لغواية الجان (حواء زوجة آدم ؛ برهة زوجة نوح ؛ رحمة زوجة أيوب – نبي الآدوميين -) . الجني، اشتقاق لغوي ، يعني حارس الجنة ، ومنه الجنون ، وعادة ما يسكن شواطيء البحار والمستنقعات وآبار الماء ، بل يسكن الرأس وبذلك يحدث الجنون !

في الأساطير الكنعانية ، خلقت حواء من الضلع الساس للرجل (آدم) وحتى لدى الفينيقيين ، وفي أساطير العرب واليهود ، فإن الله استخدم الطفولية في صياغة حواء الأولى ..

- **<u>مثال تطبيقي عن الإسم والمقدس</u>** : المولد النبوي الشريف **(محمد بن عبد الله)**

يتضمن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام)، ألفة روحية بين الأشخاص ، وهو احتفال يجمع بين المحتفى به : " النبي ؛ صلى الله عليه وسلم " ، وهو سياسي أيضا – سنوضح الأمر فيما بعد - ؛ ويأتي بعد سلسلة احتفالات تقع في نطاق " المقدس " ، وهي احتفالات دينية مقررة : عيد الفطر – عيد الأضحى – عاشوراء - ؛ وهو العبد الرابع ، فإذا كان العيدان : الأكبر و الأصغر مذكوران في القرآن لا يمكن الطعن في مشروعيتهما لأنهما مقرران في القرآن ،سنتان مؤكدتان ، فإن صيام عاشوراء والاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد لقيا معارضة من بعض الفقهاء المتشددين ، والذين ظهروا في عصور متفاوتة إلى عصرنا الحاضر .

رغم ورود أحاديث نبوية تقر بشكل غير مباشر مشروعية صيام عاشوراء والاحتفال بالمولد النبوي الشريف ؛ فإن بعض الحجج المعارضة تقدم بشكل يفتقد للسياق الزمني والمكاني والمنهجي ؛ بينما تعتبر لدى أصحابها كحقائق . المهم ! يورد " برنشفيغ " ؛Brunchwig؛ أن الاحتفال بالمولد النبوي جاء بعد صيرورة طويلة و بتدخل السلاطين من إمارات و ممالك مختلفة ، وانتقل من المشرق إلى المغرب حيث بدأه الأيوبيون (12 ربيع الاول) في

مستهل القرن 13 وبعدها قبله المغاربة أو بلاد البربر ، و أدخل إلى المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن 13 م ، و تم تقريره احتفالا رسميا عام 691 هـ ، الموافق : 1292 م من طرف السلطان المريني " أبو يعقوب المنصور " و من ثم تم توطينه بالمغرب الأقصى! .!

لكن بدون شك هنا كأماكن أخرى ، فإن هذا الاحتفال مستوحى من التصوف ، و خاصة استعراضات المرح الصاحب التي لا تفارقه ، اصطدامات في البداية بشعور مناويء من رجال الدين المتشددين ، و ما زال هؤلاء على مواقفهم ، ومقاومة بعض الأوساط التي أبطأت انتشاره خارج الأمكنة المذكورة ، فلابد أن ينقضي نصف قرن ليضمن أبو حمو الزياني انتصاره ليكرس شعبيته عن طريق تظاهرات متألقة للاحتفاء بهذا المولد ، لم يعد بالإمكان إنكارها (أنظر : برنشفيغ 1940: 304- 305) .

في كامل أقطار المغرب ، أصبح المولد النبوي الشريف سنة محمودة ؛ يحتفى به في إطار رسمي ، ولم تنجح الاعتراضات المضادة في استئصاله عن الذاكرة الجماعية التي تقوم عليها الهوية المغاربية ؛ فالأسماء عندنا في الجزائر لها دلالة رمزية ؛ فكان كل مولود يولد بمناسبة المولد النبوي الشريف ، يدعى " الميلود " ، و هي تحريف في اللهجة المغاربية لاسم " المولود " – الذي يعني النبي صلى الله عليه وسلم – وهو تعظيم له.

ما زال القطر الجزائري يسمى " الاحتفال بالمولد النبوي " (السبوع) في قصور قورارة ، والذي يعني أسبوع الاحتفال،وهو تجمع سنوي يتم وفق قواعد سلوك منضبطة مندرجة في إطار مسارات معينة ، على مختلف الفرق المشاركة أن تتبعها ، فتفوض فرقا من الزوار لحمل الأعلام التي يمثل كلا منها وليا صالحا ؛ الانطلاق يكون قبل اللقاء النهائي بحوالي أسبوعين – في العرف التقليدي – وتلتقي في الأخير عند الولي الصالح.

تختص اليوم زاوية " رڤان " بأقصى الجنوب الغربي الجزائري بتجمهر الوافدين من مختلف المناطق المجاورة والبعيدة لإحياء المولد النبوي الشريف .

لم يأت طقس " السبوع " نتيجة فعل تأسيسي واحد ، كما يتصور أهل قورارة – الممارسون له- و إنما هو نتاج مراحل متعاقبة من التشكل تبعا لصيرورة من الإنتاج الرمزي تتمحور حول ثلاث أبعاد : - الديني – السياسي – المجالي .. مايهم ، هو البعد السياسي فإرادة الشيخ وسلطته تهدف إلى الهيمنة والسيادة على جماعة معينة أو جماعة من القصوريين ، أو كل القصور المشاركة المنتمية إلى الزاوية .

تمثل شعيرة " السبوع " تجاوزا للخصومات ؛ فالقصور تشارك في نفس الطقس ، فالأولياء الصالحون (أشراف ؛ بكريون ؛ عمريون ؛ عثمانيون ..أنصار ...الخ) والمنتسبون لهم ، تجمعهم علاقات ألفة و وئام ، هنا تتدخل الدبلوماسية الروحية ، التي تجمع بين المتخاصمين في نفس الطقوس ، غير أن هذا التعايش المرحلي يتوقف مع نهاية المدة الزمنية للسبوع ؛ هذه الانقسامية في الصفوف تذوب بالضرورة في قبول السلطة التي تضع حدا لهذا التعارض. تدخل الأولياء الصالحين غير موجه نحو بنية سياسية تتعلق بالدولة (سلطة مركزية) و لكنه موجه نحو إقامة نظام يضمن ضبط الصراعات ، إنها مناسبة التنفس و تحري العدل ؛ لذلك فإن الصراع بين الجماعات القصورية يتم تغيير موقعه ، بنقله إلى أولياء الله الصالحين ، وهو ما يمثل إدماجا له في الحقل الدنيوي لتسيير شؤون المدينة، ويمثل من جهة أخرى خضوعهم للأولياء في شؤونهم ، فهم الوسطاء بين البشر ونبي الله عليه الصلاة والسلام ولهم دور في دبلوماسي للمصالحة بين القصوريين ، لتتقاطع العلاقة العمودية و الأفقية عند الأولياء بين الشأن الإلهي والجماعات السكانية (بين السماء والأرض) .

المحاضرة الرابعة : المقدس و الاحتمال التاريخي

لقد أخذ بعض الباحثين مثالا عن " الصدفة التاريخية في تكوين الأديان " منهم ، عبدالهادي عبدالرحمن ، و تتمثل في : القدس (فلسطين) و مكة (الحجاز) .

فلسطين مركز الضغط : هي معبر الثقل الحضاري (شمالا ، جنوبا ، شرقا،غربا) فالغلبة الصحراوية لها جعلت بنيتها الديمغرافية تتبع القبائل المتحركة وفي كل اتجاه بحثا عن الاستقرار في الأراضي الزراعة القريبة أو على الأطراف ...ازدهرت اليهودية في القدس وبزغت المسيحية منها وتبناها الإسلام كأول قبلة الصلاة وثالث الحرمين .

خرجت المسيحية من قرية فلسطينية عمت العالم القديم كله ؛ لم لم تكن بلد حضارة كمصر ؟ وهي التي أنتجت المسيحية الفلسطينية ، لم لم تنتج في روما أو أثينا أو فارس أو بابل ؟ رغم ، أنها حاوية لإعادة إنتاج كل هذه الثقافات بما فيها اليهودية ! هل هي إرادة الجغرافية أم التاريخ أم إرادة الله ؟ أم الصدفة المحضة (أحداث و تفاعلات) في هذه البقعة الصغيرة من العالم ..لكن الرومان هم الذين قاموا بعولمتها في العصر الامبراطوري سنة 324 م ...وما بعدها..والتلاقي بين إنتاج ثقافة وحاملها التاريخي ، وهي عنصر من عناصر المصادفة ..بمعنى ، أنها (أي الصدفة) نتيجة احتمالية ؛ فإعادة إنتاج ثقافة تعدد الآلهة في ديانة جديدة (توحيد الآلهة) ..

مكة : ما موقع مكة في بداية الدعوة ؟ وبعد الهجرة ؟ و أثناء الفتح ؟

تقع مكة في أهم طريق للقوافل التجارية ، تمت بتفاعلاتها المتفردة ، وتشاء الصدفة التاريخية أن تكون الجغرافية الملكية عنصرا كاملا لإنتاج ثقافة جديدة بالنسبة للعرب ، وهذه الطريق تجمع بين الشأم واليمن كمعبر لإفريقيا و للخليج العربي ..وتصبح أهم مركز ثقافي و تجاري في القرون الأولى بعد الميلاد بالنسبة لشبه الجزيرة العربية أكبر معمل لإعادة إنتاج ثقافة المنطقة مرة أخرى .... اختراع البطل " قصي بن كلاب " ، تقليد ملح خلقته الحاجة لراحة المسافرين في الصحراء المحرقة تحولت إلى مراكز تجارية و مواقع العبادة وأداء الطقوس .. علق في الكعبة 360 صنم ! مع صور المسيح والعذراء (جواد علي – ص 287) ثم تحولت الآلهة إلى بضاعة ! و عندما تتقادم تأخذ موقعها في " دار الآلهة " : اللات – العزى – مناة ..لها جذور بابلية و آشورية ، أي أن لها روح استيعابية ، وهو ما أدى إلى ناتجها العربي " الإسلام " .. العملية العددية – الاحتمالية : بالعملية العددية الاحتمالية بين عدد الآلهة و مساحة الكعبة فإن حاملها التاريخي هو " المعطى الأمبراطوري " لتنتج الإسلام كدين عالمي مثل حال الديانة المسيحية ، بفعل إعادة الإنتاج الثقافي !

بدأت بالمحاولة الهيلينية و انتهت بالدولة العثمانية (الصدفة التاريخية الناجحة) ، ويختلف العامل التاريخي لفلسطين عن نظيره في مكة في مسألة جوهرية ، وهي أن المسيحية ظلت لمدة ثلاث قرون، ديانة محلية الطابع تركز معظمها في مصر حتى حملها الرومان إلى العالم القديم ، بينما حامل الإسلام هو منتجه الفعلي في لحظة اندفاعه التاريخي مفوضا العالم القديم الذي بدا فارغا إزاءه ... انتشار الإسلام ظهر على ثلاث مستويات:-

1-الاندفاع التاريخي بدءا بالجهاد بعد الهجرة وانتهاء بالفتوح الكبرى ، وهو مستوى الفعل الإيجابي. 2- المستوى السلبي في فراغ المنطقة المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، أي منطقة أطراف الأمبراطوريتين المنهكتين ، تلك الأطراف المضعضعة تاريخيا وثقافيا (...) مما جعل المستوى أكثر فعالية .

3- معامل التمركز الثقافي الهام كجذر لمشروع كبير ، إما أن ينفجر ذاتيا ، أو يتحقق بقوة.

هزم البعد الإسلامي " مكة " ، وبحث عةن أرضية لإنتاج مشروع ثقافي جديد ، فمكة لم تعاني من وطأة الإمبراطوريتين : الفارسية و الرومية – البيزنطية ، بفعل العزلة التاريخية و الجغرافية لأرض الحجاز ، لكنها استفادت من موقعها " التجاري " لرحلتي الشتاء و الصيف ؛ أما بيزنطة و فارس فأقاما حاجزا بالغساسنة و المناذرة في الشمال ؛ و باليمن كحاجز جنوبي .

كان ذلك تهديدا القبائل خارج مكة ، والتي لم تستفد مما أنتجه الثراء المادي و الرفاه التجاري الذي كان يستمتع به ساداتها ، فكانت تعيش أزمة دائمة و حالة تآكل مستمرة بالغزو و الإغارة على بعضها البعض ...

هنا ، تدخل " الإسلام " كحل تجميعي لتفجير الأزمة بالسيطرة على القبائل و إخضاع " مكة " التي هزمت سياسيا ، لكنها انتصرت ثقافيا ، بفعل " الطقس الديني " الذي يتمثل في الحج ، والذي أصبح جزءا هاما بل ركنا في الإسلام ، إضافة إلى اندماج البنية الثقافية العربية داخل الحاوية الإسلامية ، و مثل العنصر الخارجي (المسيحية – اليهودية) فكانت تمثل الشكل التوحيدي له .

لكن ما تحقق هو نجاح العرب بالإسلام في إنشاء دولة مركزية ذات طابع عالمي (أمبراطورية تاريخية) ثم دخل الإسلام بعد ذلك في " الضرورة " لمدة زمنية معينة إلى أن انتهت أمبراطوريته بصعود نمط تاريخي جديد هو النمط الرأسمالي منذ أربعة قرون ، و ما زال مهيمنا إلى الآن ..

تلك " الضرورة " المزعومة ، التي جعلت الإنسان ينتظر في كهفه " ربع مليون او نصف مليون سنة ! " ، ليخرج قبل عشرة آلاف سنة .

يقول كلود ليفي ستروس : «إن ما هو صحيح في الزمان صحيح في المكان ، ولكنه يعبر عن نفسه بشكل آخر ..وما الحظ الذي تتمتع به حضارة ما لتعميم هذه المجموعة المعقدة من الابتكارات من مختلف المجالات – وهو ما نطلق عليه إسم الحضارة – سوى نتيجة لتعدد و تنوع الثقافات التي تساهم معها في إنجاز إستراتيجية مشاركة – لا إرادية غالبا - » .

يمكن تقييم نظرة ليفي ستروس بين الصدفة والضرورة التي هي مسألة فلسفية – تاريخية ، إن الصدفة ليست نافية للجهد والذكاء ، لكنها تشكل مع القصد الإنساني (الضرورة) داخل الأنظمة الاجتماعية والحضارية ..

لقد طرح الباحث المعامل الإحصائي لرصد الانفجار الذي كان متوقعا في إعادة الإنتاج الثقافي داخل مكة (المساحة الإجمالية للأمبراطورية الإسلامية – الإسلام – مقسما على ربع مكة – 360 م 2- الإله الواحد (10.000 كم 2) =» التمركز (10 مليون م2) ، لذلك فمجانسة العالم نحو التوحيد، وصعود مشروع توحيدي يفيد في رصدنا لتطور موضوعي يربط الثقافي بالتاريخي .

هذه تقدم تنبؤا في اتجاه الموضوعية ، حين تكشف الميل التاريخي لتطور الوقائع في فترة زمنية قريبة من الأحداث ،و بالتالي يمكن رسم استراتيجيات أكثر فعالية في التعامل مع اتجاهاتها وقوتها (إمكانيات التقييم والحساب).

<u>الصدف التاريخية والضرورة التاريخية</u> :

الإنسان – حسب لابلاس و كونت- بلا تاريخ يحكمه " إله صيغة" يحيط بكل شيء ، تنتفي : البطولة – الأخلاق – الإيديولوحية ، إنه يموت كما تموت النحلة عندما ندافع عن خليتها ، فهي ليست شهيدة ولا بطلة ..وإنما تدافع عن

الضرورة البيولوجية – هذا العالم المحدد سلفا خيالي ؛ كل مكتوب في اللوح المحفوظ منذ الأزل ؛ لا معنى للتقدم أو التطور " ما دام كل شيء مرسوم " مقدر " سلفا ؛ داخل هذه الصيغة الكونية في كل المعتقدات الدينية !

ينطبق معامل إعادة الإنتاج الثقافي على " مكة التحتية " (الاقتصادية) حيث لم يؤهلها ذلك لإنتاج دولة عالمية ، ولكن إمكانيات تمركزها الثقافي المشبع (البنية الفوقية) هو ما فعل ذلك ، في ظل إعادة إنتاجها ضمن شروط اللحظة التاريخية (أنظر : سمير أمين) .